الخطوة الثالثة

الحذر من فتن الدنيا

كما علمت الهدف الرئيس لهذا الكتاب، كيف السبيل إلى الحياة الطبيعة؟، وفي كل موضوع نطرحه تخطو خطوة إلى تلك الحياة، التي ينشدها الجميع، ولا يدرون كيف الوصول إليها.

تكلمنا عن الصلاة كخطوة أولى للحياة الطيبة، ومن بداية أن البعض يهملها إلى أن عرفنا كيف تكون هذه الصلاة قرة العين كما كانت لرسول الله ﷺ، ومستراح للقلب كما كان ﷺ يقول أرحنا بها يابلال، تعلمنا المشاهد الستة التي تجعل من صلاتي قرة عيني و أولها الإخلاص، وأجبنا على السؤال لماذ لا أشعر بلذة الصلاة كما كانوا يشعرون فكان العائق الأول ضعف الإخلاص والمراقبة، من هنا كان لابد أن نتكلم بشكل أدق عن الإخلاص لأنه وسيلة للرقي بالصلاة، ثم تكلمنا عن الخطوة الثانية ألا وهي إصلاح القلوب ووسائله الإنتفاع بالقرآن والتوبة، وشرحنا الموضوعين بالتفصيل الشامل.

والآن بين أيدينا خطوة ثالثة، وهي الحذر من فتن الدنيا، وهي خطوة مهمة جدًا، تكلم وألحَّ فيها القرآن، ووضعها بما لم يدع معه طريقًا للحيرة والضياع. فصَّل في سور متعددة وفي أحاديث شريفة، هذه القضية الكبرى في تناسق وتكامل ما هو موجزه أن الحياة الدنيا دار إبتلاء وتمحيص، يؤمُّها العدل، حيث يتعرض كل بني آدم، أيًا كان جنسه ولونه وطبقته لهذا الإختبار كاملًا مستوفيًا عمله ورزقه وأجله. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوْا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسا لَنْ تَمُوْتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا**

اللَّهَ وَأَجْمِلُوْا فِي الطَّلَبِ، خُذُوْا مَا حَلَّ وَدَعُوَا مَا حَرُمَ" (١).

ولماذا الإختبار؟!:

وهذا الاختبار لتقوم الحجة يوم القيامة لك أو عليك، وقد زودك الله بكل ما تحتاجه مع في هذا الإختبار زودك بالإيمان والتوحيد حيث جبل فطرتك عليها، وزودك بالسمع والبصر والفؤاد، تلك وسائل الإدرك المعينة.

وبث آيات في الكون، هي بمثابة هداية الدلالة على مر العصور حتى تقوم الساعة ، وبعث الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين.

وأهداك القرآن ذلك المنهج الرباني، الذي فيه نباء ما قبلنا، وحكم ما بيننا، وخبر ما بعدنا، من تكلم به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعي إليه فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ومن إبتغى الهدى في غيره قصمه الله...ذلك النهج الرباني هو قانون الشريعة الإسلامية وهو قدوتنا وإمامنا في حياتنا، به نهتدي، واليه نحتكم، وبأوامره ونواهيه نعمل، وعند حدوده نقف ونلتزم، سعادتنا في سلوك سننه واتباع منهجه، وشقاوتنا في تنكب طريقه والبعد عن تعاليمه...

مع هذا الزاد الرباني الذي وهبه الله لك يسهل عليك إذا صدقت النيه، وصح منك الود والعزم، أن تجتاز هذا الإختبار بخطوات ثابته، واثقة في سبيل حياة طيبة، يهبها الله لك حين علم منك الصدق في الطلب.

إذن أين المشكلة؟! عليك أن تفهم حقيقة الدنيا، و أن تدرك مزالقها وأخطارها، حتى لا تنزلق قدمك في أوحالها، وحتى تسير على هدى من الله ونور، وتصل إلى الغاية المنشودة، وترقى ببشريتك إلى هدفها الأسمى، وهو الفلاح في الإبتلاء، والفوز برضا الرحمن، والعيش في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فإن أخي من لم يعش جنة الدنيا لن يعيش جنة الآخرة، ولن تؤتي الحياة الطيبة أكلها في نهاية الإختبار،

(١) رواه بن ماجة (٢١٦٠).

بل أثنائه لأنه لا ينتهي الإختبار في هذه الحياة الدنيا حتى ينتهي قبله أجلك.

قد يقول قائل أعيش حياة طيبة مع البلاء والتمحيص؟! ، نعم ثم في الآخرة جنات نعيم، ترى وجه ربك الكريم، ولكن تسلَّح بما سبق من زاد ربك، مع معرفة قوية لحقيقة المكان الذي تؤدي عليه الإختبار، لأنه فيه حفر وقيعان، ويسكنه مردة وشيطان، ولن يدعك تؤدي مرادات الله منك كاملة، ولن يدعك تحصل على درجة الإمتياز في ذلك الإختبار إلا إذا كنت فطنًا، دارسًا لنشاطك وعطاءك، سائرًا مطمئنًا على الدرب، أهو درب النجاة أم درب الهلاك.

توالت الآيات في القرآن التي تعرض **منزلة الحياة الدنيا**، وأنها ليست الحياة الحقيقة. وأقرأ قوله الله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]، هذا التفصيل وهذا التحذير لن ينفع إلا من يتفكر ويعقل، فمن وجد في أخراه خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه، إي والله لا يلومنَّ إلا نفسه، لأن الأمر واضح بيِّن ، كما يقول رسول الله ﷺ أيضًا " **وَأَيْمُ الله لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ** "، إقر قول الله البيِّن الواضح في حقيقة الدنيا، والله ما غاص في وحلها إلى كافر فاسق زنديق، الحمق أولى به، بعد هذا البيان الصريح من رب العزة تبارك وتعالى .

يقول الله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ

(١) سورة يونس آية ٢٤

إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[(٢)].

فجعل الله هذه الحياة الدنيا بلعبها ولهوها وابتلائها وتمحيصها إختبار لك فجنة أو نار. إختبار لك ليعلم الله منك هل تؤثر رضاه وطاعته، وتوقن بوعده، وتستجيب لأمره، وتشمر للغايه التي من أجلها أوجدت بشريتك ، أم أنك تتبع شهواتك، وتؤثر رغباتك، وتستجيب لأمر الشيطان، تستسلم للنفس الأمارة بالسوء؟!.

وهذه بعض آيات من كتاب ربك، لينير لك الطريق، فأحمل معك المصباح المنير، وأنت سائر في حياتك الدنيا، حتى لا تتخبط في ظلمات الشهوات والشبهات.

وحبيبك محمد ﷺ أوضح قيمة الدنيا في كلمات المضيئة، وأحاديث شريفة مضيئة ، لتعينك على الطريق، يقول ﷺ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : " **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** "[(٣)] .

ويقول ﷺ عن المستور بن شداد رضي الله عنه ، قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع النبي ﷺ على السلخة الميتة، فقال رسول الله ﷺ " **أَتَرَوْنَ هَذِه هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِيْنَ أَلْقَوْهَا؟! ، قَالُوْا : مَنْ هَوَانِهَا الْقَوْهَا يَا رَسُوْلَ الله! قَالَ فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا**"[(٤)].

(١) سورة الحديد آية ٢٠ .
(٢) سورة الملك آية ٢، ١
(٣) رواه مسلم والترمذي (٢٧٤٢) / (٢١٩٢) .
(٤) رواه مسلم (٢٩٥٧)

obeikandl.com

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " **لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُعَادِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بِعَوَضِهِ، لَمَا سَقَى الْكَافِرَ مِنْهَا شُرْبِهِ مَاءً**" (١).

لابد لك أن تعود إلى منهاج الله، لتجد هناك الصور الكاملة المتناسقة لحقيقة هذه الحياة الدنيا، وهوانها على الله، لتتعرف تفصيلات أبواب الفتنة فيها. فتدبر آيات الله، وأحاديث رسوله ﷺ، حتى تحقق الغاية المنشودة منها وخذ منهما الزاد الحقيقي الكامل الذي يلزمك في الطريق في هذه الحياة الدنيا.

أما وقد عرفت منزلة الحياة الدنيا وهوانها عند الله، نعم الدنيا هينة عند الله ولو كانت محبوبة إلى الله ما حرم منها نبيه ﷺ فالدنيا ملعونه ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، وإلا وعالم ومتعلم، إذا أيقنت ذلك فلابد لك أن تعرف أبواب الفتنة فيها لتكون مؤمنًا واعيًا حذرًا مدركًا لحقيقة الخطر الذي يحوطك. جمع الله أبواب الفتنة في آيه . هي شهوات تأخذ صورًا متعددة في الحياة الدنيا، فيظل قلب الإنسان يجري ورائها ويلهث، حتى يدرك في الآخرة أنه كان يجري وراء سراب.. اقرأ قول الله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢). عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "**حَفَّتْ الْجَنَّة بِالْمَكَارِهِ، وَحَفَّتْ النَّار بِالشَّهَوَاتِ** " (٣).

الإبتلاء في تصوره الدقيق :

هذا هو الإبتلاء في تصويره الدقيق مكاره وشهوات، أما المكاره فهي ما يصيب الإنسان من نوئب الليالى، فالمؤمن يصبر محتسبًا ذلك عند الله فينال الأجر، والكافر تفتنه هذه المكارة لتكشف حقيقته، وتقيم عليه الحجة. وأما الشهوات فيمكن أن

(١)رواه الترمذي (٢٣٢٢) .
(٢)سورة آل عمران آية ١٤ .
(٣)رواه مسلم(٢٨٢٢) .

obeikandl.com

نعدد أهمها في وحدات كبيرة ليكون هذا الإيجاز معينًا لك على التدبر، ومساعدًا لك على الحذر من فتنة الشهوات وخطرها.

النساء : على مر العصور تنكشف لنا عظمة النظام الذي رسمه الإسلام، حتى لا تكون المرأة مفتنة للرجل، ولا الرجل مفتن للمرأة، والخروج عن هذا النظام هو إتباع الهوى والشهوات، وهو إفساد في الأرض، وتمزيق لروابط الأسرة، ونشر للأمراض، وتهديم لمقومات الحياة الطيبة.

مر معنا في الحديث الذي رواه أبي سعد الخدري ﷺ " **فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوْا النِّسَاءِ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِيَ إِسْرَائِيْلَ كَانَتْ فِيْ النِّسَاءِ** " ، وجاءت النساء أول صورة من صور الفتنة، والشهوات التي عددتها آيه آل عمران. فإذا وضع الرجل شهوته هذه كما أمره الله، وحيث أمره الله، كان له أجر وثواب، وإذا انحرف واعتدى كان من العادين!. ولا تنحصر فتنة النساء فيما يطلبه الإنسان من شهوة حرام فقط، ولكن الفتنة تظل ممتدة حتى في الحياة الزوجية، فتدفع الزوجة زوجها ليضعف أمام مسئوليات البذل والعطاء والجهاد، وتضعف من عزيمته ليندفع بعد ذلك في شهوات أخرى من شهوات الدنيا فيضطرب إيمانه.

إن فتنة النساء هنا أو هناك في أي حالة من الحالات، تدفع الإنسان إلى فتنة بعد فتنة، وشهوة بعد شهوة، وضعف بعد ضعف، لذلك جاء في الحديث " **أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِيَ إِسْرَائِيْلَ كَانَتْ فِيْ النِّسَاءِ** " ثم إمتدت الفتنة بعد ذلك في بني إسرائيل ، بسبب الفتنة الأولى .

البنين : نعم فتنة كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] و باب من أبواب الشهوات كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ﴾ [2] ، وهي نعمة

(١)سورة التغابن آية ١٥
(٢)سورة آل عمران آية ١٤ .

من نعم الله، فإذا اتقيت ربك فيما رزقك، كانت النعمة بركة عليك ورحمة ، وإن غلبتك الدنيا وشهواتها، تحولت النعمة إلى جحود وفتنة وضلال.

فإذا تعهدت أولادك في الرعاية، والتربية والبناء على أساس من منهاج الله، فنميت الإيمان المغروس في الفطرة، وقدمت الزاد اللازم لهم من القرآن والسُنَّة، يصبح الأولاد حينئذ نعمة عليك، وقوة لك، قوة للأمة المسلمة كلها. وإن غرست فيهم معاني الضلال والعصبيات والفتنة، فإنه ينحرف بهم عن جادة الحق، فيكونوا أعداء لله ولدينك ولأمتك. فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ "**مَا مِنْ مَوْلُوْدٍ إِلَا يُوْلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ، بَهِيْمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّوْنَ فِيْهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**" (١).

فهذه هي المسئولية العظيمة الخطيرة، إن الأبوين معًا يصلحان فطرة الأولاد أو يفسدانها.

المال :وهو باب واسع من أبواب الفتنة يمس كل حاجات الإنسان من طعام وشراب وملبس ومسكن، وغير ذلك من حاجات الإنسان الضرورية، لذلك جاء في سورة آل عمران مفصلًا ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾(٢) وجاءت قضية المال، قضية الكسب والانفاق، بتفصيل واسع في سور عديدة في القرآن، وفي أحاديث رسول الله ﷺ، وقضية المال من أخطر القضايا في حياة الإنسان لأنها مرتبطة بسائر القضايا الأخرى الإجتماعية والسياسية والفكرية وغير ذلك.

وفي واقعنا اليوم عندما سيطرت الفلسفات المادية القائمة على المال والاقتصاد سواء ذلك في الشيوعية والرأسمالية اللتان تمثل كل منهما الأعراف الأشد، والأبعد عن منهج الإيمان وسبيله ونوره ، ولذلك غاصت البشرية اليوم وإنحرفت عن

الغاية المنشودة لها، وإنغمست في صراع واسع تنفجر فيه الدماء، وتمتد فيه المجازر بسبب هذا الإنحراف الذي ولد الطمع القاتل والجشع المهلك، لذلك أقر الإسلام قواعد ربانية ثابتة للمال حتى لا يتيه الإنسان في فلسفات ونظريات تبعد كل البعد عن منهج الله.

فجعل في القرآن منهج متكامل يفصل الكسب والإتفاق والتعامل عامة، فمن إستمسك بهذا المنهج كانت فيه نجاته، ومن خرج عنه وتفلت منه كان فيه هلاكه.

فالمال والبنون يكونا زينة الحياة الدنيا﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١) ، وحينًا آخر يكونا فتنة وهلاك﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢) .

وموجز مما يرسمه الإسلام، هو إن يكون الكسب حلالًا طيبًا للمال، وأن يكون الإنفاق طيبًا. كما قال ربنا تبارك وتعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (٣) . وبالرغم من هذا التفصيل فإن المال سيظل باب فتنة واسع في الأمة الإسلامية خاصة، وفي الأمم كلها عامة.

فعن كعب بن عياض عن النَّبِي ﷺ " **لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المالُ** " (٤) . ومعنى هذا أن فتنة المال هي أول فتنة في هذه الأمة وأشدها، و منها تمتد سائر الفتن، وذلك كما كانت النساء أول الفتنة في بني إسرائيل ثم أمتدت منها سائر الفتن.

---

(١) سورة الكهف آية ٤٦ .
(٢) سورة التغابن آية ١٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢٦٧ .
(٤)رواه الترمذي (٢٣٣٧) .

وفتنة المال حقيقتها أن الإنسان لا يشبع ولا يقنع، ويظل يطلب المزيد والمزيد خائفًا من الفقر. فيقرر لنا القرآن الكريم أن رزق كل إنسان محدود، وأن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، كما جاء في الحديث الشريف السابق ذكره وكما نصت الآيات الكريمة على ذلك: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١).

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢).

فعندما تؤمن أن رزقك محدد، وأن أجلك محدد تطمئن، تعلم أنك تسعى في الحياة الدنيا طاعة لله لتجمع منها زادًا تحتاجه في رحلتك إلى الآخرة.

وعن عبد الله بن الشخير عن أبيه، أنه انتهى إلى النَّبي ﷺ وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال "**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، أَوْ أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ**" (٣).

يأتي حديث رسول الله ﷺ ليطمئن القلب المؤمن بأنه لا حاجة له بالجري اللاهث وراء الدنيا، وجمع مالها وحسبه منها القليل، فعن مسلمة بن عبيد الله بن محض الخطمي عن أبيه وكانت له صحبه قال: قال رسول الله ﷺ "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**" (٤).

ظل رسول الله ﷺ يبرز خطر هذه الفتنة، فتنة المال على أمته، وهذا الحديث الذي يرويه أبو الدرداء والذي يقوله فيه "**خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنُذَكِّرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: الْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسُ بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبا حَتَّى**

(١) سورة الرعد آية ٢٦.
(٢) سورة الشورى آية ٢٧.
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٨).
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب (٢٣٤٧).

لَا يَزِيغ قَلْبُ أَحَدُكُمْ إِلَّا هِيَهْ، وَأَيْمُ الله لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء : صَدَقَ وَالله رَسُوْلُ الله ﷺ ، تَرَكَنَا وَالله عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ " (١).

السمعة وزهو الدنيا: يأتي الحديث يصور لنا هول الخطر، وشدة الهلاك الذي يصيب الإنسان وهو يسعى للزهوة والسمعة والشرف الكاذب، فعن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ " مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِيْنِهِ " (٢). أي ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لدينه من حرص المرء على المال والشرف، والذئب الجائع حين يهجم على الغنم لا يكتفي بقتل واحدة فيأكلها، وإنما يقتل أولًا الغنم الذي يصل إليه كله، ثم يأخذ واحدة فيأكلها، إن هذا إفسادًا كامل شامل. ولو عقل الإنسان لأخلص عمله لله وحده، وجعله خاضعًا لأمر الله موافقًا لشرعه، وقد كان للجزي وراء السمعة، وزهوة الدنيا أثرًا كبيرًا في واقع المسلمين على مدى التاريخ، يغلف هذا الجري اللاهث وراءها بشعار وطني، أو قومي أو إسلامي يخفى ما طوت الصدور، ولكن الله يبطل العمل لفساد النية مهما عمل من زخرف، ويفضح صاحبه في الدنيا ويوم القيامة، وعلم بما في الصدور. كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث ابن عباس رضي الله عنهما " مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ " (٣).

معنى ذلك أن من أراد بعمله أن يسمعه الناس، ليعظموه ويكرموه سمع الله به، وفضحه وأبطل عمله، وذهب أجره، وينقلب العمل بذلك على فتنة في الدنيا، وتنافس على السمعة والشهرة، وصراع واسع بين الناس والفئات.

وحسب الناس فتنةً أن يتركهم الله وشركهم، تظلم عليهم الدروب، وتشتعل

---

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح (٢٣٦٧) .
(٣) رواه مسلم (٢٩٨٦/ ٤٧).

الشهوات، وتصارع الأهواء، ويبطل العمل ويفسد ، اقرأ قول رسول الله ﷺ : "قَالَ اللَّهُ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مِنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (١).

أين الخلل وأين الحل ؟ :

هذه أهم مواطن الفتنة في الدنيا : النساء – البنون – المال – السمعة.

والإنسان مفطور على حب هذه الأشياء، فهى ليست حرامًا عليك إذا أتتها بالإيمان والتقوي، ونلت منها ما أحله الله، على رضا من الله، راغبًا الدار الآخرة، صادقًا في نيتك.

إذا رجعنا إلى واقعنا اليوم، نجد أن جميع العلل والأمراض، وجميع مظاهر الخلل ناتجة عن هذه العلة الكبرى حب الدنيا، وتنافسها وكراهيه الموت، الإقبال على الدنيا والإدبار عن الآخرة. هذا بدوره يشير إلى وجود خلل في التصور الإيماني، وصفاء التوحيد ، واضطراب في حقيقة الواء الأول لله ، وفي الالتزام بالعهد الأول مع الله.

إن معالجة ما نعانيه من خلل لا يحل بصيحة أو مظاهرة. إن المعالجة تحتاج إلى دراسات إيمانية، وممارسة إيمانية، وقوة إيمانية، يجمع ذلك كله منهج مرده كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فلسنا بحاجة إلى أحزاب جديدة، ولكنا بحاجة إلى صدق العودة إلى الله ، وحقيقة العلاج تعتمد على أولًا هداية الله، فبيده سبحانه وحده الهداية، وثانيًا بذل الجهد البشري كما أمر الله تعالى ، وهو مسئولية الجماعة المسلمة والفرد.

فلا يغيب عنك كفرد، آيات الله وسُنَّة رسوله ﷺ، التي يؤكدان سُنَّة الله في هذه الحياة الدنيا التي تبين أولا أنه لا أحد من الخلق يستطيع أن ينفع أو يضر، وأن الأمر

(١)رواه مسلم (٢٩٨٥).

كله بيد الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله. وأن للنجاة الحقيقية سبيلًا واحدًا لا سبيل سواها، هي صدق اللجوء إلى الله، وقد هون الله تعالى الأمر على خلقه فحدد لهم الآجال تحديدًا لا تستطيع أحد من الخلق أن يغير منه، وحدد الأرزاق تحديدًا لا تستطيع أحد كذلك زيادته أو نقصانه، وأن الملك كله لله، واليه يرجع الأمر كله، وإستمع إلى آيات الله، وأحاديث رسول الله تنذر وتفطر وتقرع القلوب: قال تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال " يَا غُلَامُ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تُعْرَفُ عَلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَإِعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ إِجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ إِجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ".[3]

واستمع إلى هذا الدعاء العظيم الذي يعلمنا أياه رسول الله ﷺ " إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ إِضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجْهَةً وَجْهِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ

(١) سورة هود آية ٣-٤.
(٢) سورة الرعد آية ٢٦.
(٣) رواه الترمذي (٣٨/ ٦٠/ ٢٥١٨)

الَّذِىْ أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِىْ أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ " (١) هذه هي سبيل النجاة، ولا سبيل سواها (لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ) هذه هي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة .

ولكن كيف أوازن بين الدنيا والآخرة؟!:

في قول الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾(٢).

وقوله الله ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾(٣).

يشرح الآيات أحاديث رسول الله ﷺ :

قال من حديث أنس رضي الله عنه قال ﷺ : " مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِىْ قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ " (٤).

وعن ابن عمرو وابن عمر رضي الله عنهم عن الرسول ﷺ قال " الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ " (٥).

وعن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ "الدُّنْيَا مَلْعُوْنَةٌ مَلْعُوْنٌ مَا

---

(١)رواه البخاري (٨٠ / ٧٠/ ٦٣١٣) ومسلم(٤٨ / ١٧ / ٢٧١٠) .
(٢) سورة النساء آية ١٣٤ .
(٣)سورة الإسراء آية ١٨: ٢٠ .
(٤) رواه ابن ماجة والترمذي(٦٥١٦) .
(٥) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي (٣٤١٣).

فِيهَا، إِلَا ذِكْرٌ الله وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِما وَمُتَعَلِّما " [١] وكلمة (يؤثر الآخرة على الدنيا). لها دلالتها العميقة، فلا تترك الدنيا ولكن خذ منها حاجتك التي لا تعطل مسيرتك في دين الله وفي سبيل الله، وتظل مع ما تنال من الدنيا تؤثر الدار الآخره، على قدر ما يصدق إيمانك، وما تأخذه من الدنيا، يظل قوه لك في مسيرتك إلى الآخرة! فالآخرة همك وغايتك. والخطورة في ذلك حين تقبل على الدنيا، وتقنع نفسك بأنه ذلك حق، وحسبك أن تصلي وتصوم، وتؤدي الشعائر، وتقوم ببعض الأعمال الآخرى دون أن تشعر أن الإسلام مسئوليات مترابطة، ومنهج متكامل، وأن الله وضع في عنقك أمانة عظيمة، وتكاليف محددة ستحاسب عليها أوجب الله عليك البذل من أجلها، فتجدك غارقًا في قضايا بيئتك وأهلك، وقضايا وظائفك أو تجارتك، منقطعًا عن قضايا أخراك. فالإقبال على الدنيا بصورة تخل بحسن الموازنة وبينك وبين الوفاء بعهدك مع الله وفاءً يطلبه الله ويحاسبك عليه، خسارة كبيرة وإنحراف كبير.

فمن أهم هذه التكاليف الربانية بعد الشهادتين، وأداء الشعائر، وتدبر منهج الله، أن تساهم في بناء أسرة طيبة، وحياة طيبة لنفسك ومن تعول، وأن تساهم في بناء قوة الإسلام والمسلمين، وأن تساهم في تبليغ رساله الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة، وإلا كيف يصل الأخرين إلى ما وصلت عليه أنت من الفهم العميق لمتطلبات دينك، وهذه التكاليف أمانة وعهد وميثاق، وهي جوهر الإيمان والتوحيد.

قد يضعف البعض أمام فتن الدنيا، وشدة ضغط المجرمين في الأرض،أعداء الله منحرفون قليلًا أو كثيرًا عن الإيمان والتوحيد، فيقبلون على الدنيا، ويتخلون عن بعض مسئولياتهم الإيمانية، وتضطرب الموازنة لديهم. لكن أن لم تكن يقظًا أنت وآمثالك الذين تمثلون المصابيح المنيرة في هذه الأمة، فمن يقوم على الحق؟! أدعو

(١)أخرجه ابن ماجة والطبراني في الأوسط .

الله سبحانه أن يغفر لنا، ويهدينا سبيل الرشاد، وأن يحبب إلينا الدار الآخرة، وأن يجعل إيماننا وتوحيدنا، صافيًا خاليًا من الشرك، وأسأله سبحانه أن لا يجعل الدنيا أكبر همنا، فإنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأن نأخذ من دنيانا ما يعيننا على الوصول إلى دار السلام بسلامة، ناجين من زينة الدنيا وزخرفها وفتنتها، وقبل ذلك حياة طيبة نهنأ بها، ونتذوق فيها جنة الدنيا، لأنه من لم يعيش جنة الدنيا لن يعش جنة الآخرة .

كيف أوازن بين صيانة النفس والتكبُر ؟ :

الفرق بين صيانة النفس و التكبر الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوبًا جديدًا ، نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم، فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وأنواع الآثار إبقاء على بياضه ونقائه، فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث، فلا يسمح بأثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه، وإن أصابه شيء من ذلك على غرة بادر إلى قلعه وإزالته ومحو أثره، وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها، فإن لها في القلب طبوعا وآثارا أعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي للبياض، ولكن على العيون غشاوة أن تدرك تلك الطبوع، فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم، مخافة أن يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم، بخلاف صاحب العلو فإنه وإن شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد أني علو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه فهذا لون وذاك لون [1] . اهـ.

أما الكبر فإنه أثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، فرحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس شزر، ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا معاملة الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب

(١) الروح ، لابن القيم ، ص ٣١٦ .

بنفسه تيهاً، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن رد عليه رأى أنه قد بالغ عليه في الإنعام، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقاً، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه، ويرى فضله عليهم، لا يزداد من الله إلا بعداً، ومن الناس إلا صغاراً .

كيف أوازن بين حب الرئاسة والإمامة في الدين ؟:

فصَّل الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- الفرق بين حب الرياسة ، وبين حب الإمامة في الدين ، فقال -رحمه الله - :

والفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله، المعظم له، المحب له، يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره، مجتنبين نواهيه، فهذا ناصح لله في عبوديته، وأخلص العبودية لله، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماماً، يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم دليلاً، وفي قلوبهم مهيباً، وإليهم حبيباً، وأن يكون فيهم مطاعاً كي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول على يده؛ لم يضره ذلك، بل يحمد عليه؛ لأنه داعٍ إلى الله، ويحب أن يطاع الله عز وجل ويعبد ويوحد، فهو يحب ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه؛ ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن جزاءهم يوم لقائه، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [1]، فسألوه أن يقر

(١) سورة الفرقان آية ٧٤ .

أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته، فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة، فإنما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التي لا تتم الإمامة إلى بها وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسمه الرحمن جلا جلاله ليعلم خلقه أن هذا إنما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة لما كانت الإمامة في الدين من الرتب العالية بل من أعلى مرتبة يعطاها العبد في الدين كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة.

وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد مالا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا، فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما إذا حشروا في صور الذر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم إهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا أمر الله وحقروا عباده (٢).

---

(١) سورة السجدة آية ٢٤.

(٢) الروح، لابن القيم ص (٣٤٠-٣٤١).

أمور تعين بعد عون الله - تعالى - على الحذر من فتنة الدنيا:

ولقد أكد الرسول ﷺ خطورة عدم الحذر من الدنيا، يقول رسول الله ﷺ : " فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ " [١].

ـ من أكثر ما يصور لك تفاهة الدنيا : ذكر هادم اللذات ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٢]. فإن التذكر هو أكبر حماية لك من الفتنة.

– واعلم أن إيثار الدار الآخرة على الدنيا يتطلب منك مجاهدة النفس مجاهدة صادقة، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [٣]. وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [٤].

– ومما يعين على الحذر من فتن الدنيا، النظر إلى من فضلك الله عليه في أمور الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُول اللهِّ ﷺ قَالَ : " إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ " [٥].

– ومجالسة من ينتفع بمجالستهم فهم من لايشقى جليسهم.

– والمحافظة على الفرائض والنوافل، وكثرة تدبر كتاب الله، فإنه يجمع لك كل خير، والدعاء والإستغفار والتوبة، كل ذلك سلاح المؤمن أمام فتن الدنيا، وكذلك قراءة الكتب المفيدة، حتى تكون على بصيرة أنت ومن أتبعك ...

---

(١)رواه البخاري ومسلم
(٢) سورة الأنبياء آية ٣٥ .
(٣)سورة العنكبوت آية ٦ .
(٤)سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٥)رواه البخاري، وفي روايه مسلم (مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ).

كلمات مضيئة :

* حديث قدسي صحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : "**إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**" (١).

* قال رسول الله ﷺ عن ابن مسعود "**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَا حِرْصًا ، وَلَا يَزْدَادُونَ مِنْ اللهِ إِلَا بُعْدًا**" (٢) .

* قال علي رضي الله عنه في وصف الدنيا "من افتقر فيها حزن، من استغنى منها فتن، حلالها حساب، حرامها عقاب، من طلبها فاتته ، ومن قعد عنها آتته، ومن بُصرَ بها بصرته، ومن نظر إليها أعمته" ..

دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بويع بالخلافة، فقال المنصور عظني، فقال أعظك بما رأيت أم بما سمعت؟! قال بما رأيت، قال يا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدًا، وترك ثمانية عشر دينارًا ، كفن بخمسة، واشترى له قبر بأربعة، ووزع الباقي على أولاده، فكان نصيب الواحد $\frac{9}{11}$ من الدينار، وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدًا، وكان نصيب كل ولد من التركة مليون دينار، والله يا أمير المؤمنين رأيت في يوم واحد، ولدًا من أولاد عمر يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أولاد هشام بن عبد الملك يتسول في السوق.

دفن بعضهم بعض !!

مر عيسى عليه السلام على قرية، فوجد كل من فيها أموات، وهم مطروحون على وجوههم في الأزقة، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، قال يا معشر الحواريين إن هؤلاء القوم قد ماتوا على غضب وسخط، ولو ماتوا على رضى من الله لدفن

(١) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٥٩)
(٢) صحيح الجامع (١١٤٦)

بعضهم بعضًا، فقالوا يا نبي الله وددنا لو نعرف قصتهم، فسأل الله عز وجل، فأوحى الله إليه أن يا عيسى إذا كان الليل نادهم فإنهم يجيبونك. فلما كان الليل، صعد عيسى على شرف ونادى فقال يا أهل القرية، فناداه مجيبًا من بينهم؟ فقال ما قصتكم وما خبركم؟! قال يا نبي الله بتنا في عافية، وأصبحنا في هاوية، قال ولم ذلك؟! قال لحُبّنا في الدنيا، وطاعتنا لأهل المعاصي، ولم ننهى عن المنكر. فقال له عيسى عليه السلام كيف كان حبكم للدنيا؟! قال كحب الصبى لأمه، إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت حزنًا وبكينا، قال عيسى ياهذا ما بال أصحابك لم يجيبوني؟! قال إنهم ملجَمون بلجام من نار، بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال وكيف أجبتني أنت من بينهم، قال إني كنت منهم، ولم أكن معهم، فلما نزل بهم العذاب لحقني معهم، فأنا الآن معلق على شفير جهنم، لا أدري أنجو منها أم أكب فيها...

ويكفيك لعدم الإنكباب على الدنيا، هذا الحديث القدسي الجليل الصحيح عن رب العزة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال:" **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُوْلُ يَابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنىً وَأَسُدّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**"[1].

لاتعجلن فليس الرزق بالعجل ∴ الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ∴ لكنه خُلق الإنسان من عجل

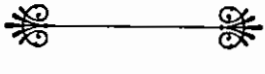

(١) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٥٩).